

فالتأمل في نصوصه التي تعاقبت الواحد تلو الآخر يلاحظ تشبته بالنزوع المتمثل في الجنس والعشق وتحبيذه إياه . فهو بالنسبة إليه أكثر أصالة . ففي زعم باتاي لا يمكن للوعي أن يتجاوز محدوديته الضيقة ويعبر إلى مناطق العدم إلا عبر تجربة الجنس والعشق ولحظة انفجارها . وبالفعل فإن باتاي كان يحترس من التجربة الصوفية لأنه يرى فيها منزعاً دينياً ولاهوتياً . ثم إن تجربة الفراغ التي تدعيها التجربة الصوفية هي تجربة مفتعلة وذلك بادعائها الحلول في الذات الالهية والتواصل معها . أما الأمر بالنسبة إلى تجربة العشق والجنس فيبدو أكثر واقعية وأكثر جدية . ذلك أن هناك شخصاً من لحم ودم وعظم تخوض التجربة وتجتاحها رغبة حسية ، مادية ، ملموسة تبدو آثارها للعيان عبر عنفها القاتل المائل كحقيقة لا تختمل . ذلك أن تجربة الجنس والعشق تقيم علاقة مضاعفة مع الموت : موت الذات التي تخوض التجربة وموت الآخر أي القرين في التجربة . يتوحد الاثنان ويختبران معاً انهيار الوعي واضمحلاله في نفس اللحظة وفي خضم هذه المعاشرة للموت .

وهكذا ، فما كنا بصددده يخص قصته السيدة « ادواردا » حيث أوردنا انهيار الرجل والمرأة وهما في غمرة خوض تجربة العشق والجنس في لحظتها ومرحلتها الحاسمة أساساً . أي ، تدقيقاً ، تلك اللحظة التي يعانق فيها الوعي المستحيل والذي لا يمكن لأية لغة أن تؤديه وبالتالي تستوعبه وتعيه . إنها لحظة فريدة : لحظة الاستشراق الكلي والعمى الكلي . اللحظة التي لا يمكن لأي لغز أو طلسم أن يصمد أمام لمعان برقتها . لحظة يتجل فيها المرء ويفقه عالمه ويعي حدوده وأطرافه . ففي هذه اللحظة يعي الإنسان انقسامه ويدرك انشطاره القائم ويتمثل تحولاته كذلك . وفي لمح البصر يعي جوهره التراجيدي والدرامي أي ذلك التناقض الذي يسكنه والذي لا يقضي إلى خلاص ولا يمكن أن نأمل في سبيل إلى شفائه إلا بسبيل الموت . إلا أن سبيل الموت هذا قد يوفر الشفاء والحلول لكل ما تعقد وتناقض ولكنه في ذات الوقت يلغي ذلك كله ويطويه طي النسيان .

حذار ! لتأمل ذلك جيداً ! حديثنا لا يصاغ هنا في إطار معرفي أو حقل ذهني ،